السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٤)

وُلِدَ الهُدَى ﷺ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

أَثْنَاءَ الحَمْلِ

تَعَالَوا أَيُّها الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ لِنَرىٰ مَاذا حَدَث مَعَ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ أَثْنَاءَ حَمْلِها بِالرَّسُولِ ﷺ .

لَقَدْ ظَهَرتْ لها بَعْضُ الآيَاتِ والعَجَائِبِ ، مِنْها : أنَّها كَانَتْ ترىٰ في المنَام مَنْ يَقُولُ لَهَا : لَقَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الأُمَّةِ ، فَإِذَا وَضَعْتِيْهِ ؛ فَسَمِّيهِ مُحَمَّداً .

وَمِنْها : ما قَالَتْهُ هي : ما شَعَرْتُ أنِّي حَمَلْتُ بِهِ ، وَلا وَجَدْتُ لَهُ ثِقْلاً ، وَلا وَحَماً وَلاَ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَمِنْها : أَنَّها سَمِعَتْ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ نِداءً ـ دُوْنَ أَنْ تَعْرِف مَصْدَرَهُ ـ يَقُولُ لها : يا آمِنَةُ! إنَّكِ قدْ

حَمَلْتِ بِخَيْرِ البَرِيَّةِ ، وَسَيِّدِ العَالَمِيْنَ ، فإذا وَلَدْتِهِ فسمِّيهِ أَحْمَدَ ، ومُحَمَّداً ، وعلِّقي عَلَيْهِ هَذِهِ الصَّحِيْفَةَ الذَّهَبِيَّة .

قَالَتْ : وَأَذْكُرُ أَنِّي قَرَأْتُ مِنْها مَايَلي :

أُعِيْـــذُهُ بِـــالـــوَاحِـــدِ
مِـــنْ شَـــرِّ كُـــلِّ حَـــاسِـــدِ
وَكُـــــلِّ خَلْـــــقٍ رَائِـــــدِ
مِـــنْ قَـــائِـــمٍ وَقَـــاعِـــدِ

أَنْهَاهُمْ عَنْهُ باللهِ الأَعْلَىٰ ، وأَحُوطُهُ مِنْهُم بِالْيَدِ العُلْيَا ، يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيْهِمْ ، وَحِجَابُ الله دُوْنَ عَادِيْهِمْ .

* * *

وَلَيْلَةُ مَوْلِدِهِ ﷺ

وَحَدَثَتْ لَيْلَةُ مَوْلِدِهِ ﷺ أُمُورٌ غَرِيْبَةٌ ، وعَجِيْبَةٌ ، منها :

ارْتَجَفَ إِيْوَانُ كِسْرىٰ ، وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَع عَشْرَةَ شُرْفَةً ، وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ ، وَوَقَعَتْ كَثِيْرٌ مِنَ الأَصْنَامِ عَلَىٰ الأَرْضِ... .

أَمَّا آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ فَقَدْ رَأَتْ أَثْنَاءَ ولاَدَتِها نُوْراً قَوِيّاً أَضَاءَ كلَّ مَا حَوْلَها .

وَفي لَيْلَةِ الإثنين (١٢ ربيع الأوَّل) عام الفيل ، الموافق (٢٠ نيسان ٥٧١م) وُلِدَ المُصْطَفىٰ ﷺ ، وَكَانَ ذَلِكَ في دَارٍ مَعْرُوفَةٍ بِزُقَاقٍ

في مكَّةَ ، وَرَحِمَ الله الشَّاعِرَ حِيْنَمَا وَصَفَ مَوْلِدَهُ الشَّريف :

وُلِدَ الهُدَىٰ فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءُ

وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ

الرُّوحُ وَالمَلأُ المَلائِكُ حَوْلَهُ

لِلدِّيْنِ والدُّنْيا بِهِ بُشَراءُ

والعَرْشُ يَزْهُو والحَظِيْرَةُ تَزْ

دَهِي والمُنْتَهىٰ والسِّدْرَةُ العَصْمَاءُ

بِكَ بَشَّرَ اللهُ السَّمَاءَ فَزَيَّنَتْ

وَتَضَوَّعَتْ مِسْكاً بِهِ الغبراءُ

يومٌ يَتِيْهُ عَلىٰ الزَّمانِ صَبَاحُهُ

وَمَسَاؤُهُ بِمُحَمَّدٍ وَضَّاءُ

ذُعِرَتْ عُرُوشُ الظَّالِمينَ فَزُلْزِلَتْ

وَعَلَتْ علىٰ تِيْجَانِهِمْ أَصْدَاءُ

وَالنَّارُ خَاوِيةُ الجَوَانِبِ حَوْلَهُمْ

جَمَعَتْ ذَوَائِبَها وغاضَ المَاءُ

والآيُ تَتْرَىٰ والخَوارِقُ جَمَّةٌ

جِبْــرِيــلُ رَوَّاحٌ بِهــا غــدَّاءُ

وَعادَةً يا أيُّها الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ عِنْدَما يُولَدُ طِفْلٌ في أُسْرَةٍ ما تَفْرَحُ الأمُّ والأَبُ ، وَيَفْرَحُ إِخْوَتُهُ الأولاد ، لكن مَنْ فَرِحَ بِالْمَوْلُودِ الجَدِيْدِ صَلَواتُ الله عَلَيْهِ ؟

* * *

فَرَحٌ... وَسُرُوْرٌ بِمَوْلِدِهِ ﷺ

وَفَرِحَتْ آمِنَةُ بِمَوْلِدِهِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ فَرَحاً عَظِيماً ، لَـٰكِنَّ العَادة أَنْ تَحمِلَ الأمُّ البِشَارَةَ إلىٰ زَوْجِهَا ، فَإلىٰ مَنْ تَحْمِلُ آمِنَةُ البُشْرَى ، وَقَدْ ماتَ عَبْدُ الله ؟

لَقَدَ حُمِلَ الغُلامُ إلى جَدِّه عَبْدِ المُطَّلِب ، فَلَمَّا نَظَر إِلَيْهِ ؛ أَخَذَهُ ، وَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إلى أبي طالبٍ ، وَأَوْصَاهُ قَائلاً : هَوَ وَدِيْعَتي عِنْدَكَ ، لَيَكُونَنَّ لابني هَذَا شَأْنٌ .

ثُمَّ أَمَرَ عَبْدُ المُطَّلبِ فنُحِرَتِ الإبِلُ ، وَذُبِحَتِ

الشَّاءُ ، وَأَطْعَمَ أَهْلَ مَكَّةَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ بلياليها ، ثُمَّ سَمَّاهُ : مُحَمَّداً ﷺ .

فقيل له : ولماذا أسميتَهُ محمَّداً ؟

قال : عَسَىٰ أَنْ يَحْمَدَهُ أهلُ السَّمَاءِ وأَهْلُ الأَرْضِ .

لَـٰكِنْ يَا أَحِبَّتي البَرَاعِمَ! تَعَالَوا نَتَساءَلُ : هَلْ عَبْدُ المطَّلِبِ هُوَ الرَّجُلُ الوَحِيْدُ الَّذِي فَرِحَ بِمَوْلِدِ الرَّسُولِ ﷺ ؟

أَبَداً! فَعَمُّه أَبُو لَهَبٍ عِنْدَما جَاءَتْهُ جَارِيَتُهُ (ثُوَيْبَةُ) ، فَبَشَّرتْهُ بِأَنَّ آمِنَةَ قَدْ ولدت مَوْلُوداً ذَكَراً ؛ فَرِحَ كَثِيْراً ، وَأَرَادَ أَنْ يُعْطِيَ الجَارِيَةَ شَيْئاً مِنَ مَالٍ أَوْ حُلِيٍّ ، فَلَمْ يَجِدْ أَمَامَهُ شيئاً ، فَأَعْتَقَها قَائِلاً : أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ!

بَلْ وكُلُّ النَّاسِ يَحْتَفِلُونَ بِمَوْلِدِه ﷺ ، وذَلِكَ

لأَنَّهُ هُوَ احْتَفَل بِمَوْلِدِه ، كَيْفَ ذَلِكَ يَا أَحِبَّتي ؟!

وَرَدَ فـــي صحيـــح الإمَـــامِ مُسْلِـــمٍ : أَنَّ الرَّسولَ ﷺ سُئِل عَنْ صَوْمِهِ يَوْم الإثنين ؟ فَقَال : « فِيْهِ وُلِدْتُ ، وَفِيْهِ أُنزلَ عليَّ » .

فالرَّسُولُ ﷺ عَبَّر عَنْ فَرْحَتِهِ بِمَوْلِدِهِ بالصِّيامِ ، فَكَيْفَ نُعَبِّرُ نَحْنُ عن فَرَحِنَا بِمَوْلِدِهِ ؟

لا بُدَّ لنا أَنْ نَجْتَمِعَ في ذكرىٰ مَوْلِدِه ﷺ ، ونستذكر سِيْرَتَهُ : كَيْفَ كَانَ مَعَ الأَوْلادِ ، وَمَعَ الزَّوْجَاتِ ، ومَعَ عَامَّةِ النَّاسِ ، وفي المَسْجِدِ ، وفي الطَّرِيْقِ ، وَفي سِلْمِهِ ، وَحَرْبِهِ ، وَفي كلِّ حَرَكاتِهِ صلوات الله عليه وسلم .

وَذَلِكَ بِهَدَفِ الاقتداء بِذَلِكَ الأنموذَجِ الرَّائِع ، عَسَىٰ أَنْ يَكْتُبَنَا اللهُ عِنْدَهُ مَعَ الفَائِزِين ، وَرَحِمَ اللهُ الشَّـــاعِـــرَ الَّـــذِي صَـــوَّر فَـــرْحَـــةَ أبـــي لَهَـــبٍ

بِمَوْلِدِ الرَّسُول ﷺ ، ثُمَّ قَارَنَ ذَلِكَ بِفَرْحَةِ العَبْدِ المُؤْمِنِ بالعِيشَةِ مَعَ الله ، وَرَسُولِهِ ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

إِذَا كَانَ هَذَا كَافِراً جَاءَ ذَمُّهُ

وَتَبَّتْ يَدَاهُ في الجَحِيمِ مُخَلَّدَا

أَتىٰ أُمَّهُ في يَوْمِ الاثْنَيْنِ دَائِماً

يُخَفَّفُ عَنْهُ لِلسُّرُورِ بِأَحْمَدَا

فمَا الظَّنُّ بِالْعَبْدِ الَّذِيْ كَانَ عُمْرُهُ

بِأَحْمَدَ مَسْرُوراً وَجَاءَ مُوَحِّداً ؟!

وَكَيْفَ لا نَفْرَحَ وَقَدِ امْتَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِهِ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ ، مِصْداقُ ذَلِكَ قَوْلُ الله سُبْحَانَهُ : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ

مُّبِينٍ﴾[1] .

فَلَهُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ الشُّكْرُ ، والفَضْلُ ، والمِنَّةُ علىٰ أَنْ أَرْسَل لَنَا خَاتَمَ الأَنْبِيَاءِ مُحَمَّداً ﷺ فَلَوْلا ذَلِكَ لَكُنَّا كَفَرَةً أَوْ مُشْرِكِيْنَ..!

* * *

(١) سورة آل عمران : ١٦٤ .

أَحْمَدُ مَكْتُوبٌ عَلَىٰ اللسَانِ

وَعَمَّتِ الفَرْحَةُ مَكَّةَ كُلَّها ، وَجَاءَ وَفْدٌ إلىٰ عَبْدِ المُطَّلِبِ يَدْعُونَهُ مِنْ أَجْل أَخْذِ الغُلامِ إلىٰ جِوَارِ الكَعْبَةِ ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ النَّاسُ...

فَأَجَابَهُمْ عَبْدُ المُطَّلِبِ : لا بَأْسَ بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ حتَّىٰ يَكْبَرَ الغُلامُ قليلاً .

وَبِالْفِعْلِ بَعْدَ قُرَابَةِ سَنَةٍ اصْطَحَبَ عَبْدُ المُطَّلِبِ النَّبِيَّ إلىٰ البَيْتِ الحَرَامِ ، وَهُنَاكَ رَفَعَهُ إلىٰ جِوَارِ الحَجَرِ الأسْوَدِ في الكَعْبَةِ ، وَرَاحَ يَدْعُو الله ، وَيَشْكُرُه ويَقُولُ :

الحَمْـدُ للهِ الـذي أَعْطَـانـي

هَذَا الغُلامَ الطَّيِّبَ الأَرْدَانِ[1]

قَدْ سَادَ في المَهْدِ عَلىٰ الغِلْمَانِ

أُعِيْـذُهُ بِـالبَيْـتِ ذِي الأَرْكَـانِ

حَتَّـىٰ يَكُـونَ بُلْغَـةَ الفِتْيـانِ

حَتَّـىٰ أَرَاهُ بَـالِـغَ البُنْيَـانِ

أُعِيْـذُهُ مِـنْ كُـلِّ ذي شَنَـآنِ

مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الجنَانِ

أَنْتَ الَّذي سُمِّيْتَ في القُرآن

فـي كُتُـبٍ ثَـابتَـةِ المَبَـانـي

أَحْمَدُ مَكْتُوبٌ عَلىٰ اللِّسَانِ

ثُمَّ أَمَر عَبْدُ المُطَّلِبِ فَذُبِحَتِ الجِمال ، وطُبِخَ

---

(١) الأردان : الأكمام .

عَلَيْهَا ، وَأَكَل المَسَاكِيْنُ والفُقَرَاءُ ، بَلْ وَغَالِبِيَّةُ أَهْلِ مَكَّة ، تمنِّياً وَزِيَادَةً .

فَسَلامٌ عليك يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنْتَ دَلِيْلُنَا إلىٰ الله ، وَأَنْتَ النُّورُ والهِدايةُ ، مِصْداقُ ذَلِكَ قولُه تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] .

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *

(١) سورة المائدة : ١٥ـ١٦ .